

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص البحث المقدم إلى مؤتمر

(نحو تعزيز ثقافة الحوار)

والذي يقيمه مركز آدم لحوار الحضارات

موضوع الكلمة: المحور الأول :-

الإسلام دين الحوار

بقلم الشيخ الدكتور / يوسف جمعة سلامة
خطيب المسجد الأقصى المبارك
النائب الأول لرئيس الهيئة الإسلامية العليا بالقدس
وزير الأوقاف والشئون الدينية سابقاً

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام وشرح صدورنا للإيمان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:-
لقد أسس الإسلام منهجاً متكاملًا للتعامل بين الشعوب والحضارات المختلفة، حيث قرر اختلاف الناس والأجناس، فقد قرر القرآن الكريم أن الخلاف بين الناس سنة ربانية جبلوا عليها، كما في قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} (١).

قال الشاطبي، رحمه الله، فأخبر سبحانه أنهم لا يزالون مختلفين أبداً، مع أنه قد خلقهم للاختلاف، وهو قول جماعة من المفسرين.

كما وربط المسلمين مع سائر البشر على اختلاف انتماءاتهم الحضارية برباط من الأخوة الإنسانية النابعة من وحدة الأصل البشري، وألزمهم بالتعاون والتعايش والتعارف مع غيرهم، ونشر الخير بين الجميع ومع الجميع بصرف النظر عن دينه أو جنسه أو لونه، فقال سبحانه عز من قائل: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} (٢).

(١) سورة هود: الآيتان ١١٨-١١٩

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣

فالحوار بالنسبة للمسلمين فريضة واجبة وضرورة شرعية، فرسالة الإسلام ودعوته عالمية لا تختص بجنس أو لون أو عرق، ولا بلد بعينه، فقد بعث الله محمداً - عليه الصلاة والسلام - رسولا للعالمين ، ولم يبعثه لقومه العرب من دون غيرهم، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) ، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢) والخطاب القرآني يتوجه في الكثير من آياته إلى البشر جميعاً، ليؤكد على الإخاء الإنساني، فالإسلام يفرض التواد والتعارف والعدل مع المختلفين معه في الدين، طالما هم يسالمون المسلمين ويعيشون معهم في جوار طيب يقول الله تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣).

كما أن الإسلام دعا أتباعه إلى الحوار بالحسنى ، ومجادلة (الآخرين) بالأدب ، كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٤)، وقال الله عز وجل :﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٥)، والملاحظ أن القرآن الكريم لم يرتض لأتباعه المنهج الحسن في الحوار، بل المنهج الأحسن.

بل طالب القرآن الكريم من المسلمين أن يكون هذا منهجهم في حوارهم وحديثهم كله مع (الآخر)، يقول الله تعالى ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾^(٦).

أهمية الحوار

أما أهمية الحوار فتتجلى في أنه ما دامت هناك حياة وأحياء ، فلا بد أن يكون هناك حوار فيما بينهم، إذ لا يستطيع إنسان أن يعيش في عزلة عن غيره ، وإنما هو في حاجة إلى غيره في بيعه وفي شرائه ، في أخذه وفي عطائه ، في بيان فكره وآرائه .

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٨

(٣) سورة الممتحنة: الآيتان ٨ و ٩

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٥

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٤٦

(٦) سورة الإسراء: الآية ٥٣٦

فالحياة من مستلزماتها الأساسية : الحوار والنقاش والجدال والخلاف بين الأفراد، وبين الجماعات، وبين الدول ، وبين الشعوب.

ولقد أشار القرآن الكريم في كثير من آياته ، إلى أن الحوار بين الناس، من المقاصد الأساسية التي لا غنى لهم عنها في حياتهم ، ومن هذه الآيات قوله - عز وجل - : **لِيَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**{^(١)).

ومما يدل دلالة واضحة على أهمية الحوار، أنك تقرّ القرآن الكريم، فتري على رأس الأساليب الحكيمة والبلغية التي استعملها القرآن الكريم لإحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، أسلوب الحوار والجدال والمناقشة العقلية، التي تجعل كل ذي عقل سليم ، يؤمن إيماناً راسخاً ، بأن لهذا الكون إلهاً واحداً، قادراً، عليمًا، حكيماً { **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** }^(٢)، فكم من كافر أسلم بسبب الحوار وكم من عاصٍ معتد اهتدى واستقام على الجادة بسبب الحوار، فمن ذلك : الحوار الذي كان سبباً في إسلام عمر - رضي الله عنه - ، وحوار ابن عباس - رضي الله عنهما - الذي كان سبباً في توبة ألفين من الخوارج عن بدعتهم.

إن الحوار بين الناس في أمور دينهم ودنياهم ، من الأمور اللازمة لهم لزوم الطعام والشراب، وما يشبههما من ضرورات الحياة .

لقد تتادينا بأهمية الحوار ، حتى نادى بعضنا بضرورة الحوار مع (الآخر) ، و(الحوار الإسلامي المسيحي)، والحوارات بين الإسلاميين والقوميين والليبراليين ، ولكن : أين حوار دعاة الإسلام مع بعضهم البعض.

فالتعددية في نظر الإسلام أمر واقع وملموس ، ولكنها بدلاً من أن تكون مجالاً للخلاف والنزاع ينبغي أن تفتح الطريق أمام وحدة الهدف المشترك .

فنجد الأئمة الأربعة وغيرهم كثير لم يتعصبوا لآرائهم، بل كلهم من رسول الله ملتمس .

أدب الحوار

إن الإسلام دين الحوار، فلقد أرسى قواعده، وقنّد ضوابطه، وبيّن آدابه، في نصوص عديدة من كتاب الله تعالى، تضمنت أروع البيان، وأصول المناظرة، وآداب المحاور، وفي سنة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - القولية والعملية، ما يعين المحاور، حيث دعا نبينا - صلى الله عليه وسلم - إلى الله، وحاوّر، وناظر، فكان - صلى الله عليه وسلم - خير أسوة للمتحاوِّرين.

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٤

إن أدب الحوار في الإسلام يتطلب تفهم المقابل ودوافعه وأهدافه، وإفساح المجال له لعرض وجهة نظره، كما أن المسلم ملتزم بأدب الخطاب بعيداً عن التهجم وتجريح الآخرين وإلقاء التهم دون بينة أو دليل ، كما يجب عليه إعطاء محاوره فرصة عرض رأيه دون مقاطعة أو ضيق وتبرم، وأن يتحلى بالعدل والإنصاف والموضوعية، وضرورة الانصياع للحق، وقبول الحجة ، وعدم المماراة فيها، وألا يستهين بمن يحاورهم أو يستخف بعقولهم وآرائهم، وضرورة احترام الطرف الآخر ، والابتعاد عن التعصب.

تنمية ثقافة الحوار

الحوار قيمة حضارية وإنسانية من الضروري أن يؤمن بها ويمارسها الفرد والمجتمع على حد سواء لتحقيق الاستفادة من إيجابيات الحوار المتعددة ، وتزداد أهمية الحوار عندما تواجه الأمة ظروفًا معينة وأحوالاً خاصة تمس وحدتها وكيانها وتماسكها. والحوار الناجح بين أفراد المجتمع يوفر الوقت والجهد والمال ،ويحقق المهام والأهداف المرجوه منه، كما ويساهم في النجاة من العواقب السيئة التي تترتب على عدم الإلتزام بآداب الحوار على مستوى الأفراد والمجتمعات .

ومن أجل تنمية ثقافة الحوار لابد :

- عقد ورش عمل شبابية في جميع المحافظات بمشاركة المؤسسات التعليمية والثقافية لنشر ثقافة الحوار وتفعيلها .
 - إشاعة ثقافة الحوار في المجتمع، بحيث يكون هو الأسلوب المعتمد في التخاطب بين جميع شرائح المجتمع بعضهم مع بعض.
 - عقد الندوات واللقاءات وإقامة المؤتمرات التي تدعم وتنتشر ثقافة الحوار .
 - إصدار النشرات والدوريات الصحفية التي يتم من خلالها نشر وتشجيع ثقافة الحوار .
- وفي الختام لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر والتقدير إلى الأخوة في مركز آدم لحوار الحضارات على إقامتهم لهذا المؤتمر الهام فجزاهم الله خير الجزاء.**

